

أضواء البيان

@ 208 { تَتَذَكَّرُونَ } { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْإِسْمَ رِضًا وَفَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنِزَاءٍ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ، لأن قوله : { اعْبُدُوا رَبَّكُمْ } فيه معنى الإثبات من لا إله إلا الله . . .
وقوله { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } يتضمن معنى النفي منها على أكمل وجه وأتمه . . .

وقد أقام الله جل وعلا البرهان القاطع ، على صحة معنى لا إله إلا الله ، نفيًا وإثباتًا ، بخلقه للسموات والأرض ، وما بينهما في قوله { الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ } الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْإِسْمَ رِضًا وَفَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنِزَاءٍ . . .

وبذلك تعلم أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا خلاقًا متلبسًا بأعظم الحق ، الذي هو إقامة البرهان القاطع ، على توحيده جل وعلا ، ومن كثرة الآيات القرآنية ، الدالة على إقامة هذا البرهان ، القاطع المذكور ، على توحيده جل وعلا ، علم من استقرأ القرآن ، أن العلامة الفارقة من يستحق العبادة ، وبين من لا يستحقها ، هي كونه خالقًا لغيره ، فمن كان خالقًا لغيره ، فهو المعبود بحق ، ومن كان لا يقدر على خلق شيء ، فهو مخلوق محتاج ، لا يصح أن يعبد بحال . . .

فالآيات الدالة على ذلك كثيرة جدًا كقوله تعالى في البقرة المذكورة آنفًا : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } . . .

فقوله : { الَّذِي خَلَقَكُمْ } يدل على أن المعبود هو الخالق وحده ، وقوله تعالى : { أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ } قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ . يعني وخالق كل شيء هو المعبود وحده . . .

وقد أوضح تعالى هذا في سورة النحل ، لأنه تعالى لما ذكر فيها البراهين القاطعة ، على توحيده جل وعلا ، في قوله { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْإِسْمَ رِضًا بِإِلَاحِقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } إلى قوله { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } أتبع ذلك بقوله { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } . . .

وذلك واضح جداً في أن من يخلق غيره هو المعبود وأن من لا يخلق شيئاً لا يصح أن يعبد .